بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة العربي بن مهيدي أم البواقي

كليّة الآداب واللغات

قسم اللغة و الأدب العربي

دروس و أعمال موجهة في مادة الصوتيات **إعداد و تقديم الأستاذ:** عبد الرحيم عزاب

الأفواج المعنية: الأول و الثاني و الثالث **المستوى:**سنة ثالثة، تخصص لسانيات عامة.

الدرس السادس (6):الدراسة الصوتية لدى علماء القراءات

لقد شاعت آثار الدراسة الصوتية التي نظَّر لها الخليل ابن أحمد، ومن بعده تلميذه سيبويه، ثمّ الأزهري، ثمّ ابن جني في القرن الرابع الهجريّ في نواح مختلفة من الدراسات العربية. " لقد نظم أصحاب الأداء القرآني قواعد ودراسات استلهموها من دراسات الخليل ابن أحمد وتلاميذه، ومن دراسات الكوفيين، وألفوا كثيرا من الكتب في علم أصوات اللغة، منها المطوّل، و منها المختصر، ومنها التعليميّ الذي يعنى بتدريب القرّاء والحفّاظ لكتاب الله تعالى". [1]

لقد أبان أصحاب الأداء القرآني عن مقدرات خلاّقة، كيف يُؤدون تلاوة القرآن الكريم أداء صحيحا لا عوج فيه ولا انحراف، ولم يزيدوا على أصول قواعد الأصوات شيئا، وإنّما زادوا في التفاصيل. " وقد أضاف علماء القراءات (فنّ التجويد) منذ القرون الهجرية الأولى جهودا علمية مبتكرة، وزيادات وتفصيلات كثيرة، عن الأصوات اللغويّة لدى اللغويين والمعجميّين، واحكاما تطبيقيّة في كتبهم الخاصة، ممّا كان له الأثر البيّن في الحفاظ على سلامة اللغة، وبعدها عن الانحراف في النطق، وقد سعوا إلى وصف " تلاوة القرآن " حسب القراءات القرآنية المختلفة؛ فسجّلوا خصائص صوتية تنفرد بها التلاوة القرآنية، ووضعوا رموزا كتابية تمثّل هاته الخصائص".[2]

1

2

ورغم كثرة كتب القراءات في العصور المتأخرة، وعلاجها المسهب للقراءات السَبع والعشْر وغيرها، "نرى أنّها حين تعرض لأصوات اللغة، تكتفي ببضع صفحات، تصف فيها مخارج الحروف وصفاتها، في صورة مقتضبة مختصرة، لا تخلو من الغموض أو التحريف في بعض الأحيان، كما أنّ عناية أصحابها قد وجهت كلها إلى رواية القراءات وسندها، معتمدين على تلقين القراءات وضبطها، عن طريق التلقي الشفوي، جيلا بعد جيل، حتى انتهى الأمر إلى بضعة متون صغيرة، سميّت (بعلم التجويد) يحفظها الطالب عن ظهر قلب، دون فهم لها في غالب الأحيان. وقد التزمت هذه المتون في غالب أحوالها، نصوص سيبويه، وعباراته في شرح أصوات اللغة ووصفها".[3]

وما يؤكد هذه الأدبيات والمقولات في مصطلح القراءات القرآنية وعلاقته بعلم الأصوات، يستلزم بداية في تحديد ماهية كل من الترتيل والتجويد ومراتب الترتيل وعلاقتهما المفصلية بالأصوات اللغويّة.

1-الترتيل:

الترتيل لغة : مصدر قولهم: رتل فلان كلامه، فهو مأخوذ من الرتل، أي حسن تناسق الشيء. " يقال : كلام رتل و رتل أي مرتل حسن على توءدة و رتل الكلام: أحسن تأليفه و أبانه و تمهل فيه.

و الترتيل لدى علماء القراءات: هو الترسل فيها من غير بغي "[4]. و في التنزيل قوله تعالى: " و رتل القرآن ترتيلا " (المزمل 4) قال ابن كثير في تفسيره هذه الآية: " المعنى: اقرأه على تمهل، فإنه يكون عونا على فهم القرآن و تدبره، و كذلك كان يقرأ صلوات الله عليه و سلامه " [5].

و قد نقل ابن جرير الطبري (ت 310 هـ) بسنده عن ابن عباس – رضي الله عنهما – أن المعنى: بينه بيانا " [6].

و البيان يشمل الألفاظ و المعاني، أما الألفاظ فبالتجويد، و أما المعاني فبالوقف الصحيح.

أما الترتيل في الاصطلاح فيرد هو الآخر بمفاهيم متعددة:

3
4
5
6

1-الترتيل: " هو تجويد الحروف و معرفة الوقوف " [7].

و قد نقل ابن الجزري (ت 833 هـ) هذا التعريف على الإمام علي رضي الله عنه.

2-الترتيل: "هو تلاوة القرآن الكريم تلاوة تبين حروفها، و يتأنى في أدائها، ليكون ذلك أدعى إلى فهم المعاني "[8].

3-الترتيل: هو القراءة بتوءدة و اطمئنان، و إخراج كل حرف من مخرجه، و إعطائه حقه و مستحقه، مع تدبر المعاني"[9].

و هذا التعريف أقرب ما يكون إلى علم الأصوات اللغوية، و خاصة لدى الخليل و سيبويه و ابن جني.

من هنا ستنتج أن المراد بهذه المصطلحات القرائية و الأدائية في تجويد القرآن الكريم و ترتيله.

ف: مستحق الحرف: ما يعرض له في التركيب، مثل:

الإخفاء و الإدغام و غيرهما، أي عندما يجاوره غيره من الحروف في كلمة أو كلمات متجاورة.

أما حق الحرف (صوتيا) فهو ما يستحقه من الصفات اللازمة له، مثل: الجهر و الهمس و الشدة و الرخاوة.

و تشير عبارة " فهم القرآن " في التعريف الثاني، و عبارة " تدبر المعاني " في التعريف الثالث إلى ضرورة مراعاة حسن الوقف و الابتداء حتى لا يختل المعنى أو يعتريه الغموض. و بهذا تلتقي كل التعريفات و المفاهيم في موضوع واحد هو : أن الترتيل يشمل التجويد كما يشمل الوقف. و في هذا السياق يرى المحققون من العلماء أن الترتيل يشمل مراتب التلاوة كلها من تحقيق و حدر و تدوير، قول العلامة ابن الجزري رحمه الله : " إن كلام الله تعالى يقرأ بالتحقيق و بالحدر و بالتدوير مرتلا مجودا بلحون العرب و أصواتها "[10].

7
8
9
10

شرح و تعليل مصطلحات التحقيق و الحدر و التدوير:

-المراد بالحدر هو إدراج القراءة وسرعتها مع مراعاة أحكام التجويد من إظهار و إدغام و قصر و مد و وقف، و هذه ولاشك من أول مصطلحات علم الأصوات و علم القراءات.

-و أما المراد بالتحقيق هو إعطاء كل حرف حقه من إشباع المد و تحقيق الهمزة و إتمام الحركات و اعتماد الإظهار و التشديدات، و توفية الغنات، و تفكيك الحروف أي بيانها و إخراج بعضها من بعض بالسكت و الترسل و التوءدة وملاحظة الجائز من الوقوف[11].

-في حين، أن التدوير في اصطلاح علم القراءات، هو عبارة عن التوسط بين الحدر و الترتيل، و هو الذي ورد عن أكثر الأئمة.

1-ابن الجزري: النشر في القراءات العشر، ص 205/1.

11

2-التجويد:

التجويد في اللغة، مصدر جود الشيء، أي: صيره جيدا، و الجيد ضد الردئ[12].

و إذا أضفنا التجويد إلى القرآن الكريم، كان معنى ذلك – لغويا – الإتيان بالقراءة مجودة الألفاظ، برئية من الرداءة في النطق[13].

أما في الاصطلاح العلمي، فيعني: تلاوة القرآن الكريم بإعطاء كل حرف حقه من مخرجه و صفته[14] اللازمة له من جهر و همس، وشدة و رخاوة، و نحوها. و هذه المصطلحات من مفردات الدرس الصوتي، ورد الحرف إلى مخرجه و أصله، و إلحاقه بنظيره و تصحيح لفظه و تلطيف النطق به على حال صيغته و كمال هيئته من غير إسراف و لا تعسف و لا إفراط و لا تكلف[15].

من أبرز موضوعات التجويد:

تناول علم التجويد أو فن الأداء القرآني أو علم القراءات أو علم أصوات القرآن الكريم، ثلاثة موضوعات أساسية هي:

2-1-مخارج الأصوات (الحروف) العربية، و هي: المواضيع التي تتولد فيها هذه الأصوات، و يتحدد فيها أهم ملامحها الفارقة[16].

2-2-صفات الأصوات العربية، مفردة، مثل: الجهر و الهمس، و الشدة ز الرخاوة، و الإطباق و الانفتاح، و نحو ذلك.

3-3-صفات الأصوات العربية، مركبة، مثل: الإدغام و الإخفاء، و الترقيق و التفخيم...إلخ. و للإشارة، فإن درس الإدغام بوصفه من الأصوات المركبة في علم القراءات القرآنية، سيكون مدار درس و متابعة علمية، بعد درس، الدراسة الصوتية لدى علماء القراءات.

12
13
14
15
16

أمثلة تطبيقية:

إن الحد الفاصل بين كل وحدة و أخرى، هو دور الصوت في اختلاف المعنى فاللام في اللغة العربية وحدة صوتية متميزة مهما اختلفت صورتها من تغليظ في مثل " **والله** " أو ترقيق في مثل " **بالله** ". و ذلك لأن المعنى لا يختلف في حالة التفخيم عنه في حالة الترقيق.

و " النون " وحدة صوتية متميزة مهما اختلفت صورتها، بأن كانت متحركة في مثل: **نطق**، أو ساكنة خفيفة في مثل: **ينطق**، أو مدغمة مع الغنة في مثل: **من يّفعل**. و ذلك لأن المعنى لا يختلف.

فالحد الفاصل بين الوحدتين الصوتيتين أو الفونمين هو اختلاف المعنى في الكلمتين مع اختلاف الصوتين.

و من الأمثلة النموذجية كذلك، " من مجالات البحث في علم الأصوات الخاص أيضا أو الفونولوجيا Phonologie دراسة الصوت في موقعه في الكلمة، و ما يحدث له من تغير في صفته العامة نتيجة لموقعه الجديد.

و من الأمثلة على ذلك: النون الساكنة في التجويد القرآني: حيث تخرج من مخرجها مظهرة (من الإظهار) من غير غنة إذا وقعت قبل أحد الحروف الحلقية: (الهمزة، و الهاء، و العين، و الحاء، و الغين، و الخاء) مثل:

(**من آمن**)، (**منهم**)، (**من هاد**)، (**أنعمت**)...إلخ.

و تدغم النون الساكنة مع الغنة إذا وقعت في آخر كلمة، ووقع في أول الكلمة الموالية أحد الأصوات الأربعة (الياء، و الواو، و النون و الميم) مثل: (**من يّقول**)، (**من وّال**)، (**من نّعمة**)، (**من مّال الله**)، و تدغم بغير غنة، إذا وقعت في آخر كلمة ووقع في أول الكلمة الموالية لام أو راء، مثل: (**من لّدنه**)، (**من ربّهم**)، و حيث تقلب (الإقلاب) هذه النون الساكنة ميما إذا وقعت قبل صوت الباء في كلمة واحدة نحو: (**أنبئهم**) أو في كلمتين، نحو: (**أن م بورك**)، و حيث تخفى

(الإخفاء) هذه النون الساكنة مع بقية الحروف (الأصوات)، نحو: (**من ثمرة**)، (**لمن شاء**)، (**من طيبات**)...إلخ[17].

فهذه أمثلة نموذجية على دراسة الصوت في موقعه، في القراءات القرآنية، و ما يطرأ عليه من تغير نتيجة لهذا الموقع الجديد.

17